خطبة: شعبان والغفلات

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

هذا شهرُ شعبان رسولُ رمضان وسفيرُ شهر القرآن.

كان النبّيُ صلى الله عليه وسلم يجتهد فيه ويخصه بأعمال دون غيره من الشهور، مما أثار انتباه الصحابة إلى ذلك ، فقال أُسَامَة بنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ فقَالَ: ((ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))

أما حديثنا اليوم ، عباد الله ، فهو في إشارة النبيّ صلى الله عليه وسلم "للغفلة ".

والغفلةُ داءٌ ، فهي تصرف القلبَ عن الله تعالى ، وتصرف العقلَ عن التفكّرِ في حسن العاقبة ، وتصرف التفسَ عما يزكيّها ، وتصرف البدن عمًا فيه صلاحه وعافيته، وتحجب المرء عمّا فيه سعادته في دنياه ونجاته في أخراه ،

فهذا قارون أطغاه ماله فلم ينتفع بتذكير الناصحين " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)

فاغتّر وطغى لغفلته " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)

فكانت عاقبته " فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) ( القصص)

 معاشر المؤمنين

عرض القرانُ الكريم الغفلة في خمسةٍ وثلاثين آية محذرا من الغفلة ، قال تعالى ﴿ واذكُرْ ربَّكَ في نفسِكَ تَضرُّعاً وخِيفةً ودُونَ الجَهرِ مِن القَولِ بالغُدُوِّ والآصالِ ولا تكُن مِن الغافِلين ﴾ [الأعراف: 205].

وبيّن لنا القرآن عاقبةَ الغفلةِ ممثلةً في آل فرعون ، فقال تعالى: " فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [ الأعراف: 130: 136 ].

كما سجل لنا أسبابَ الغفلة، فقال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [ الأعراف: 146].

وجاء التحذير لذلك عن مصاحبةِ غافلِ القلب ، لأن ذلك سببٌ للإنجرار معه في غفلاته ،

قال تعالى ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: 28].

نبهنا الله وإياكم من غفلة الغافلين ونفعنا بما في كتابه من الايات والذكر الحكيم ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

إن مما يحفظ المؤمنَ من الغفلات :

كثرةُ الذكر لله تعالى ، فهي وصية الله لعباده

" وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (205 الاعراف)

جاء رجلٌ الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال : "لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ "

ومما يحفظ المؤمن من الغفلات التزامُ الصلوات في المساجد التي أذن الله أن تُرفعَ ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال " رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37 النور )

ومنها صحبة الصالحين ، قال تعالى :

"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28 الكهف)

ومنها تتابع العمل الصالح وتعاهد القربات كما أوصى ربُّنا جلّ وعلا نبيَّه صلى الله عليه وسلم " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين "

اجتهد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق، فقَالَ: إنّ الخيلَ إذا أُرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقلُّ من ذلك، فلم يزل على ذلك حتى مات.  قَالَ الذَّهبي: وكان أبو موسى صوَّامًا قوَّامًا، ربانيًا زاهدًا عابدًا، ممن جمع العِلْمَ والعمل والجهاد، وسلامة الصَّدر، لم تُغيره الإمارةُ ولا اغتر بالدُّنيا.